الآفات الاجتماعية في مجتمع المغرب الأوسط بين التجليات والتداعيات

دة./ لامية وادي

جامعة محمد لمين دباغين– سطيف2

الملخص:

ساد مجتمع المغرب الأوسط في العصر الوسيط مجموعة من القيم الاجتماعية شكلت محركا لسلوك وقواعد أخلاقية الفرد، ووجهت مشاعر الناس وتصرفاتهم واختياراتهم وحددت مواقفهم في بعض أمور الحياة، ونظمت علاقاتهم بالواقع والآخرين، وممّا لا جدال فيه أنّ البيئة ساهمت في تحديد تلك القيم إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ هذا المجتمع لم يخلُ من سلوكيات مخالفة لتلك القيم، حيث ظهرت مجموعة من الآفات الاجتماعية ضربت كيان مجتمع المغرب الأوسط في العصر الوسيط، تمخّضت عنه مجموعة من النتائج أثّرت على الفضاء الأسري والفضاء العام، ونظرا لصعوبة الإلمام بكل تلك الآفات التي سادت مجتمع المغرب الأوسط سنحاول إبراز البعض، وانطلاقا من ذلك سنسعى من خلال مداخلتنا المتواضعة الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي أهمّ تجليات الآفات الاجتماعية في الصناعة السلوكية والذهنية لفرد المغرب الأوسط وكيف تمّ احتوائها؟

الكلمات المفتاحية: الآفات الاجتماعية؛ مجتمع المغرب الأوسط؛ التجليات.

Social ills in Middle Maghreb Society between manifestations and repercussions

Abstract:

In the middle age, a set of social values prevailed in Middle Maghreb society that served as an engine of individual behavior and moral norms, guided people's feelings, behavior, and choices, defined their attitudes in certain matters of life, and regulated their relations with reality and others. It is indisputable that the environment has contributed to the determination of those values, but that does not mean that this society has not engaged in behavior contrary to those values. A series of social ills emerged that struck the Middle Maghreb society in the Middle Age, resulting in a series of results that affected family space and public space. Given the difficulty of addressing all those ills in Middle Maghreb society, we are going to highlight some ills such as theft, adultery, cheating... Based on the latter, our modest intervention will seek to answer the following problem: What are the most important manifestations of social ills in the behavioral and mental industry of the individual belonging to the Middle Maghreb, and how they have been contained?

Keywords: social ills; Middle Maghreb society; manifestations.

مقدمة:

تميّز مجتمع المغرب الأوسط في الفترة الوسيطية كغيره من الأقاليم الجغرافية الأخرى بمجموعة من القيم والسلوكيات التي وجهت مشاعر الناس وتصرفاتهم واختياراتهم وحددت مواقفهم في بعض أمور الحياة، ونظمت علاقاتهم بالواقع والآخرين وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه القيم لم تكن ثابتة بل تخللتها سلوكيات تجسدت في ظهور مجموعة من الآفات الاجتماعية أثرت على الفضاء الأسرى والفضاء العام.

جسدت لنا هذه السلوكيات مشهدا من مشاهد الحياة اليومية ورصدت أساليب التعامل بين أفراد مجتمع المغرب الأوسط ،إثر تضافر مجموعة من العوامل والظروف ساهمت بشكل أو بآخر في ظهور مثل هذه السلوكيات– الإنحرافية – كالفروق الاجتماعية وانتشار الفقر، تراجع القيم في المجتمع وانتشار الفساد، الحروب والصراعات وما نتج عنها بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية.

اتّخذت الانحرافات السلوكية في المجتمع المغرب الأوسط عدة أشكال فتارة كانت في صور عدوانية كالسرقة، السلب، النهب وشيوع الرذيلة، وتارة أخرى روحية تمثلت في ممارسة السحر والشعوذة، أفرزت هذه السلوكيات واقعا مريرا صعبا في الفضاء الأسري والفضاء العام نذكر منها فساد النسل كما في الزنا والاغتصاب، انتشار اللاّأمن في البلاد نتيجة السرقة والخطف، ظهور الهجرة وتراجع الإنتاج الفلاحي نتيجة الحروب والفقر...

نظرا لصعوبة الإلمام بكلّ الآفات الاجتماعية التي سادت مجتمع المغرب الأوسط سنحاول في هذه المداخلة المتواضعة الاقتصار على البعض منها، وانطلاقا من ذلك سنجيب على الإشكالية التّالية: ما هي أهمّ تجليات الآفات الاجتماعية في الصناعة السلوكية والذّهنية لفرد المغرب الأوسط وكيف تمّ احتوائها؟

1– قراءة في عوامل ظهور الآفات الاجتماعية في مجتمع المغرب الوسط:

ساهمت مجموعة من العوامل بشكل أو بآخر في ظهور الآفات الاجتماعية في مجتمع المغرب الأوسط سواء منها المتعلقة بالأسرة أو الفضاء العام، سبب في ظهور سلوك انحرافي نتيجته ما هو إلاّ محصّلة مترابطة من العوامل الطبيعية والأنتربولوجية والشخصية الاجتماعية حيث يمكننا أن نوجزها في ما يلي:

– الفروق الاجتماعية وانتشار الفقر حيث يصف لنا الوزان حالة الفقر التي كان يعيشها سكان المسيلة بسبب كثرة الضرائب عليهم فيقول: "والسكان كلهم صناع أو فلاحون يرتدون لباسا رديئا لفقرهم، بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبون مداخيلهم وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم بالضرائب وقد اندهشت للفقر السائد بمسيلة عند مروري بها[1]، كما كان سكان المدن المحيطة بتلمسان تعاني الفقر المتقع بسبب

1– حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج. 2، 1983، ص. 52.

سيطرة الأعراب عليها والذين يجبرون الناس على دفع الضرائب لهم مثل ما هو الحال بالنسبة لمدينة مازونة التي كان أغلب سكانها نساجون أو فلاحون أثقل الأعراب كواهلهم بالضرائب[1]، كما لا يخفى علينا تجاوزات القبائل الهلالية التي تحصلت على امتيازات فأصبحت لهم مكانة.

تعدّ أعمال السخرة لصالح ذوي السلطة مظهر من مظاهر الظلم المنتشرة في المغرب الأوسط فقد تحدث ابن خلدون عن هذه التجاوزات واستنكرها بشدة حيث قال: "ومن أشد الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق... فإنّ الرّعية المعتملين في العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك...فإن كلفوا العمل في غير شأنهم واتّخذوا سخريا في معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متويلهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ كبير من معاشهم[2]، نتيجة تلك الأعمال تحول صغار الفلاحين إلى أجراء كانوا يعملون ويكدون مقابل أجر زهيد وهذا أثر سلبا على مستواهم المعيشي، وفي ظل تلك الظروف وجدت البعض من الفئات التي عانت ويلات الفقر والاستغلال أنها مجبرة لممارسة سلوكيات انجرت وراءها عدة نتائج.

– **الاحتكار والغلاء:** ارتبط المستوى المعيشي لفرد ساكنة المغرب الأوسط بالوضعية الاقتصادية، فيتحسن في أوقات الرخاء ويتأزم أوقات الأزمات عن طريق نقص السلع وغلائها نتيجة توقّف الزراعة، التجارة، انتشار الغلاء، الوباء والأعمال التخريبية والفساد الذي يحل بالأرض، بالإضافة إلى الضرائب التي كانت تفرض وترهق كاهل الرعية، فهذا كلّه أدّى إلى ظهور الفقر والتلصص والعنف عند بعض الفئات المشكلة للمجتمع ،فعلى سبيل المثال نجد أثناء الحصار الذي فرض على تلمسان من طرف الدولة المرينية الأثر واضح من خلال اصدار السلطان أمرا بمعاقبة كل من يدخل بصناعة أو مواد غذائية إليهم[3]، فأدى ذلك إلى تأزم الوضع حتى أشرفوا على الهلاك ،كما تسبب ذلك في غلاء الأسعار والأقوات والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد[4]،وهذا بطبيعة الحال سيؤدي إلى انتشار الآفات الاجتماعية خاصة منها السرقة، كما أحدثت اختلال التوازن حيث أنتجت لنا مجتمعا لا يوفر الحاجة الأساسية، ضف ذلك السياسة الجبائية الجائرة التي مورست ضد فئات المجتمع وهذا ما نستشفه في قول ابن خلدون: "جاء العرب الهلاليون وغلبوا على الضواحي... وضربت عليهم المغارم[5] والتي كان لها أثر كبير في تراجع القيم في المجتمع حيث انتشر الفساد في المناصب الهامة كالقضاء إذ كانت ضعاف النفوس ترغب في الشراء والبيع حيث تلجأ إلى كل الوسائل، وبناء على ذلك كان بعض الطلبة من الفقهاء المشاورين

1– المصدر نفسه، ص. 36.

2– ابن خلدون، المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2001، ص. 357.

3– ابن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر بيروت لبنان، ج. 7، 2000، ص. 292.

4– المصدر نفسه، ص. 113.

5– المصدر نفسه، ج. 7، ص. 63.

للقضاء يعملون وسطاء بين الناس والقضاة للحصول على المال عند صدور الأحكام ،وقد حذر أهل الفنون من أمثالهم وحذروا ولاة الأمر على تأديبهم الأدب الموجع بالضرب والسجن[1].

كما انتشر أكل أموال الناس بالباطل بسبب الفساد الذي حلّ بالمنطقة، إذ جسد لنا ابن بطوطة بعض مظاهر ظلم السلطة وتعدى الولاة على أموال الناس ببجاية سنة 725هـ/ 1324م عندما رأى تحكم الحاجب ابن سيد الناس الإشبيلي في زمام الأمور كلها وأكله أموال الناس بالباطل[2]، كذلك ظلم الرعية بالضرائب والمكوس التي فرضت عليهم إذ نجد أن الأعراب همهم الوحيد هو أخذ أموال الناس نهبا أو غرامة[3].

- **الحروب والصراعات:** تسبّبت الحروب في إلحاق الضرر بساكنة المغرب الأوسط فهي تشبه الكوارث الطبيعية من حيث الضرر والخراب المنجر عنها نذكر منها على سبيل المثال:

- دخول أبو عبد الله الشيعي تيهرت وما انجرّ عنه: "ودخل المدينة فانتهبها وانتهك حرمتها وأجلى كثيرا من أهلها[4]، وعندما ثارت تيهرت على عامل الشيعة سنة 299هـ./912م، أخرج إليهم عبيد الله المهدي جيشا وتمكن من المدينة فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الأموال[5].

هجوم بني غانية على بجاية ومناطق من المغرب الأوسط سنة 581هـ-606هـ./ 1185-1209م فحصل خراب ومجاعة وألحقها وباء سنة 588هـ./ 1192م[6]، كذلك فعلت سنة 605هـ./1208م لتلمسان حيث نتج عنه تخريب العمران ونهب الزرع[7]، وكذا الحصار المتكرر لقسنطينة من قبل صاحب بونة الأمير عبد الله (761-777هـ./ 1365-1375م) أدى إلى تخريب المنازل وقطع الأشجار وهتك زروعها[8].

- الصراع الذي عرفته الدولة الزيانية مع جارتها من بني مرين سنة 688-689هـ./ 1289-1290م)، إذ تعرضت تلمسان إلى خراب المداشر والقرى إضافة إلى سبي النساء والحريم[9]، وكذا سنة 698هـ./ 1298م

1- الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس وإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1981، ج. 8، ص. 351.

2- ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مج. 1، أكادمية المملكة المغربية، المغرب 1997، ص. 161، ابن خلدون، العبر،ج. 7، ص. 384.

3- ابن خلدون المقدمة، ص. 188.

4- البكري، المسالك والممالك تح أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دارالغرب الإسلامي، 1992، ص. 249.

5- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تح ج س كولان و إليقي بروفينسال، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط. 3، 1983، ص. 166.

6- المصدر نفسه، ص.ص. 180-181.

7- المصدر نفسه، ص. 252.

8- ابن قنفذ، الفارسية في مباديء الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص. 191.

9- ابن خلدون، العبر، ج. 7، ص. 381.

حيث انجر عنها كثرة السبي يقول ابن خلدون:"... فاستباحهم قتلا وسبيا"، قد انجر عنها بيع الأسرى خاصة أمام انتشار أسواق الرقيق في كبرى الحواضر كتلمسان[1]، قسنطينة[2] وبجاية[3].

كثيرا ما كانت البوادي أوقات الحروب عرضة لعمليات السلب والنّهب والتي تشمل المزروعات والأنعام من قبل الجيش المار بها حتى يضمن غذاؤه فضلا عن عمليات التخريب، النسف، الحرق وإتلاف الزرع[4].

- **الضرائب والمكوس التي كانت تفرض على ساكنة المغرب الأوسط:** أشار الوزان إلى زيادة حالة الفقر في بعض مدن وبوادي وقرى المغرب بسبب فرض الأعراب المغارم على أهلها من جهة واستيفاء الدولة للضرائب[5]، كذلك زمن الحفصيين إذ تعدّدت الجباية التي كانت تفرض حيث شكلت ثقلا على مختلف الفئات العاملة أين فرضت جملة من المكوس على التجار والحرفيين والباعة بالأسواق[6]، وفي بجاية وأعمالها وهذا ما كشفت عنه مسألة الفقيه أبي العباس أحمد البجائي الشريف والتي استفتى فيها ابن الحاج التلمساني (ت. 930هـ./ 1523م) حول موضوع كثر فيه الظلم والجور وانتشرت فيه مختلف الآفات كشرب الخمر وكثرت فيه أعمال المكس على الباعة في الأسواق وهناك من اضطر المكوث في هذا الموضوع لأخذ العلم عن علمائه دون قدرته على تغيير المنكر إلا قليلا، فهل يجوز له شراء المبيعات التي عليها المكس فكان جواب الفقيه هو هجرة المكان المقصود وعدم المكوث فيه إلا إذا أسند السبل وأنّ العلم لا يأخذ إلا من يلتمس فيهم الورع[7].

كذلك تحكم الأعراب في الجباية دون حسيب أو رقيب إذ كانت غايتهم الأولى أخذ أموال الناس نهبا أو مغرما[8]، وهذا ما يبرره الوزان حين تحدث عن أهل المدية ومدى تضررهم من هؤلاء فيقول عليه:

1- مارمول كاربخال، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، ج. 2، 1984، ص. 300.

2- المصدر نفسه، ص. 56.

3- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط. 2، 1979، ص. 45.

4- بوداود عبيد التصوف في المغرب الأوسط ما بين (الق7-9هـ/13-15م)، دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، وهران دار العرب، ص.ص. 158-160.

5- مارمزل كربخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 52.

6- البرزلي، جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ،تح محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2002، ط. 1، ج. 5، ص.ص. 205-206.

7- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه ومراجعته محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ص.ص. 14-16.

8- ابن خلدون، المقدمة، ص. 187، مارمول كربخال، المصدر السابق، ج. 3، ص. 96.

"إلاّ أنّ الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات ولا يستطيع ملك تلمسان الدفاع عنهم ولا أن يسيطر عليهم[1]، كما وصف الحالة التي كان عليها صناع المسيلة بسبب الضرائب[2].

- **الكوارث الطبيعية:** تعددت الكوارث الطبيعة التي ألمت بإقليم المغرب الوسط، علي سبيل المثال نجد الجراد الذي ألم بالمغرب سنة 377هـ. حيث أكل الزرع و لم يترك بها مخضرا كذلك نجد الرياح إذ يقول أبي زرع عام 379هـ. شهدت رياح شرقية بالمغرب دامت 6 أشهر فعقبها وباء عظيم والأمراض الكثيرة وكذا اتلاف المحاصيل[3]، وكذا الفيضانات التي اجتاحت قسنطينة والتي أدت إلى ظهور قطاع طرق انتهزوا الفرصة للتعدي على الممتلكات الشخصية ونهبها.[4]

سبّبت هذه الكوارث عدّة مجاعات نجد على سبيل المثال مجاعة 688هـ./ 1289م التي وقعت في تلمسان حيث ذكر العبدري أن أهل تلمسان لم يقدروا أن يقوموا بواجبهم اتجاه الحجاج وحمايتهم من اللّصوص، وذلك بسبب الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كانت تعاني منه بسبب المجاعة[5]، مجاعة عام عام 776هـ./ 1347م وقد أشار ابن قنفذ إلى المجاعة التي عاشها وتحدث عن جماعة من التسولين الملازمين لقبر الولي القطب أبي مدين شعيب بالعبادة وأوصى بذلك لكل زائر للقبر بما يجب عليه فعله في الصلاة والدعاء[6].

2- تجليات الآفات الاجتماعية في المغرب الأوسط:

2-1- الخطف والسرقة:

انتشرت هذه الآفة بصورة أوضح في الفترات التي ضعفت فيها رقابة الدولة على مجالاتها وقد يصل بها الأمر إلى عدم القدرة على توفير الأمن وقد ازدادت تعقيدا أثناء الحروب والصراعات إذ نجد أن السلطة تكون غير قادرة على فرض رقابتها على مجاله الإقليمي فتتعمد فئة إلى ممارسة هذه الظاهرة فنص العبدري يعزز لنا الطرح أكثر من خلال شهادته عند اجتيازه مدينة تلمسان واصفا إياها "لا يسلم

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 41.

2- المصدر نفسه، ص. 52.

3- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 102.

4- ابن الحاج النميري ،فيض العباب إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح. محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 1990، ص. 260.

5- العبدري، رحلة العبدري، تح إبراهيم كردي تقديم شاكر الفحّام، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 2، 2005، ص. 27.

6- ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص.ص. 105-106.

منهم صالح ولا طالح ولا يمكن أن يجوز عليهم إلاّ مستعد يتفادون شره وطلائعهم أبدا من مرقت لا يخلو منها البتة[1].

فبمجرد ضعف رقابة الدولة يستغل المتلصصة الفرصة لممارسة السرقة والاختطاف وقد أشار البلوي عن استفحال ظاهرة قطاع الطرق واقتصار الأمن عند فحوص المدن فذكر أن جبال المغرب الأوسط ونجودها هي مسالك للذئاب واللصوص والأسود[2]، وكذلك ما وصفه لنا العبدري في رحلته عن حال المسالك وقطاع الطرق[3]، وفي ذلك السياق وردت نوازل فقهية فعن رجل وجد جاريته عند رجل قد ابتاعها وادّعى أنّها مسروقة[4].

كما ساهمت الأحوال المناخية والبيئية التي شهدتها تلمسان سنة 732هـ./ 1332 في ظهور سلوكيات النهب التي استهدفت مدخرات المدينة من القمح والشعير من قبل اللصوص في حد قول ابن خلدون حيث حلت بها هذه الفاترة فانتهب الناس من تلك الأقوات ما لا كفاءة له وأضرعوا مختطفها بالأرض فنسفوها نسفا ودورها قاعا صفصفا[5]، وفي السياق نفسه تحدث النميري عن الفياضانات التي اجتاحت قسنطينة فظهر قطاع الطرق وانتهزوا فرصة التعدي على الممتلكات الشخصية من نهب واختلاسات لأموال الناس بقوله: "في اشتداد السيل وترك الناس أموالهم... فما من الناس من رأى شيئا من ماله ولا امتدت إليه عادية... وقد امتدت إليها أكفف الانتهاب وأعان السيل والليل على الاختلاس والاستلاب[6]، فهذه السلوكيات خلفتها الكوارث الطبيعية والفقر عبرت عن الواقع المؤلم ممن تأثروا بالجوع فيسلك الفرد سلوك النهب ليفر من المجاعة والموت.

2- التّسوّل:

ساهمت ظاهرة الفقر بالدّرجة الأولى في التّسول وفي ذلك السّياق تحدّث ابن قنفذ عن المجاعة التي ألمت بالمنطقة سنة 776هـ./ 1374م، وعن ظهور جماعة من المتسولين الملازمين لقبر أبي مدين شعيب بالعباد حتى أنه أوصى كل زائر لهذا القبر بترك من صدقة الفئة المعدمة[7]، وكذلك قضية الرجل ببجاية الذي اكترى فندقا للمحتاجين وتوفير لهم الطعام واللباس[8].

1- العبدري، المصدر السابق، ص. 45.

2- البلوي، المصدر السابق، ج. 1، ص. 153.

3- العبدري، المصدر السابق، ص.ص. 25-26.

4- ابن رشد البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة، ج. 11، تح. محمد حجي، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، 1988، بيروت، ص. 155.

5- ابن خلدون، العبر، ج. 7، ص. 336.

6- ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص. 260.

7- ابن قنفذ،المصدر السابق، ص. 105.

8- الغبريني، المصدر السابق، ص. 128.

3- الاغتصاب:

ساهمت مجموعة من الظروف في ممارسة مثل هذه الآفات منها كتدني المستوى المعيشي، تأخر سن الزواج، تعاطي المسكرات، ضعف الوازع الديني والتفكك الاجتماعي، إضافة إلى مساهمة الدولة في هذه الظاهرة عن طريق غياب الرقابة السياسية.

وجدت العديد من النوازل الفقهية التي تعزز انتشار آفة الاغتصاب فعن صبية رفعت شكواها للقاضي تدعي أن ابن عمها افترعها بل لم يكتف بذلك بل قدمها لجنود صنهاجة الذين ظلوا يغتصبونها 3 أيام[1]، كما تشير نازلة إلى تعرض أم للاغتصاب على يد ولدها السكران، وكذا قضية الفتاة التي قتلت نفسها بعد أن اغتصبت[2]، وعن رجل تعلق قلبه بجارية وحين رفضت سيدتها تزويجها له هدد باغتصابها[3]، باغتصابها[3]، وعندما سئل الفقيه السيوري (ت. 462/ 1069م) عمن نزل على بكر فافترعها[4].

4- الاسترقاق:

أمام الاضطراب الذي ساد المغرب انتشرت الحروب التي أدت إلى انتشار آفة الإسترقاق، ففي العهد الفاطمي حيث سنة 298هـ./ 910-911م هاجم أبو عبد الله الشيعي قبيلة صدينة وزناتة وقتل الرجال ونهب الأموال وسبى الذرية[5]، وكذلك عندما ثارت تيهرت على عامل الشيعة سنة 299هـ./ 912م أخرج إليهم عبيد الله المهدي جيشا تمكن من المدينة فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وانتصبوا الأموال[6]،وكذا ما مارسته العرب الهلالية إذ يذكر الونشريسي أن عرب الديلم وسعيدو رياح وسويد وبني عامر بالمغرب الأوسط أقدموا عام 1393/796 على قطع الطريق ،واعتدوا على القوافل وسلبوا محتوياتها وسفكوا دماء أصحابها وسبوا النساء ولم يتمكن ولاة الأمر من وضع حد لاعتداءاتهم[7]، نفس الشيء حصل حصل أثناء الصراع المريني الزياني حيث تم استباحهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى[8].

5- الانحلال الخلقي:

شهد مجتمع المغرب الأوسط هذه الظاهرة عن طريق ارتكاب الزنا رغم الآيات الصريحة التي جاءت في تحريمه في قول الله تعالى "وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً"[9] وفي قوله تعالى:"الزَّانِيَةُ

1- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 9، ص. 573.

2- البكري، المصدر السابق، ص.ص. 888-889.

3- الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، ج. 2، ص. 208.

4- البرزلي المصدر السابق، ج. 2، ص. 315.

5- ابن عذاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 160.

6- ابن عذاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 166.

7- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 6، ص.ص. 153- 156.

8- ابن خلدون، العبر، ج. 7، ص. 381.

9- سورة الإسراء الآية 32.

وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ"، ويقول أيضا: "**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**".[1]

إذ نجد أنّ بعض النّساء لم يتردّدن في الاتجار بأعراضهن وأجسادهن في أحضان الدّعارة والبغاء لتصريف أزمتهن، وقد عبّر عن ذلك صاحب المعيار عن هروب المرأة من بيت زوجها وزواجها من آخر[2]، رجل اتهم امرأته بأنه إن غاب خالفه رجل من أهل ناحيته... فرأى امرأته مع من يكره من ذلك الرجل[3]، كذلك هروب المرأة عن زوجها[4]، وهناك من لجأن للتّسكع فقصدن المسكن المخصصة لمبيت القوافل التجارية، وما يدعم ذلك ما ذكره الوزان أنّ تجار قسنطينة كانت أموالهم تضيع على العاهرات والجواري[5]، كذلك عن نازلة تذكر أن رجل تزوج بكرا فزنت غصبا أو طائعة[6] وعمن زنى بامرأة وتزوجها[7]، وتزوجها[7]، عن رجل تزوج امرأة وأتت بولد في أقل من 6 أشهر[8] وآخر يخلو مع امرأة أخيه ويأكل معها ويحدثها[9] من عرض زوجته للفجور[10] وقد انتشرت أيضا عند العبيد فعن مسألة العبد ينكح بغير إذن سيده سيده ويطأ قبل الإجازة[11].

6- الغش والرّشوة:

انتشر الغش بصفة كبيرة في الأسواق خاصة فئة التجار لأجل الربح الوفير واكتناز الأموال ،وقد كشفت لنا النوازل الفقهية ممارسة تلك الآفة، إذ كانوا ينفخون اللحم المهزول لتظهر أنه ممتلئ وكذا خلط لحم الضأن بلحم المعز وهذا ما أنكره الفقهاء[12] لأنّه يغير طعم اللّحم، كما جرى عند الخبازين صنع الخبز قبل غربلة القمح حتى صار يشترى خبزا بداخله حصى وكذا أنواع الغش في النقود والدنانير وخلط العسل الجيد بالرديء والزيت القديم بالجديد ومزج اللبن بالماء[13]، بل تعدّته إلى الغش في بيع الفواكه قبل أن

1- سورة النور الآية 2-3.

2- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 3، ص. 46؛ البرزلي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 271.

3- البكري، المصدر السابق، ص. 886.

4- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 3، ص. 46.

5- الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 60.

6- البرزلي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 315.

7- المصدر نفسه، ج. 2، ص. 200.

8- المصدر نفسه،ج. 2، ص. 200.

9- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 3، ص. 139.

10- المصدر نفسه، ج. 3، ص. 133.

11- البرزلي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 316.

12- الونشريسي،المصدر السابق، ج. 6، ص. 414.

13- المصدر نفسه، ج. 6، ص. 410- 412.

تطيب كالتين والتفاح وغيرها[1]، كذلك عن نازلة أوردت أنّ رجلا اشترى خادما ثمّ أتى امرأتين تشهدان أن لها حملا فردت به ثم بيعت بالبراءة[2]، كما كان يتمّ إخفاء بعض الأمراض لدى الرقيق كالبرص والصمم... والتي تؤدي إلى فسخ العقد أو إعادة مراجعته[3] إضافة إلى عدم التصريح بالعيوب الخفية وإخفائها[4].

7- السّحر والشعوذة:

مورست هذه الآفة في مجتمع المغرب الأوسط حيث ذكر ابن عذاري أن أهل تلمسان معروفون بقراءة الكتف[5]، كما أورد الونشريسي نازلة سئل أبو محمد عن الرجل يعرف بعلم الجن وعنده كتب فيها جلب للجن أمرائهم والعفاريت ويعزم... ويحلّ من عقد عن امرأة ويكتب كتاب عطف الرجل لامرأته ويزعم أنّه يقتل الجن[6]، وعن نازلة أخرى سئل أحدهم عمن يبيع كتب الخرافات والشعوذة فأجاب أنّه لا يجوز بيعها ولا النظر فيها[7].

3- النتائج المترتبة عن الآفات الاجتماعية:

أدى الانحلال الخلقي إلى حدوث خلل اجتماعي داخل الأسرة الواحدة و تمثل في فساد النسل ونتاج أطفال مجهولي النسب وقد عبر عنه ابن خلدون بقوله: "فيفضي ذلك إلى فساد النوع بواسطة اختلاط الأنساب كما في الزنا فيجهل كل واحد ابنه إذ هو لغير رشدة لأن المياه المختلطة في الرحام فتفقد الشفة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويؤدّي ذلك إلى انقطاع النوع[8] حيث وردت مسائل عند الفقهاء حول الزنا كنازلة قاسم العقباني أن امرأة توفي زوجها فهربت مع رجل ومكثت عنده وولدت فقال الولد لاحق للفراش فهنا اضطر الفقهاء بإلحاقهم بأبائهم وفق الحديث الولد للفراش[9]، كذلك نتج عن هذه الممارسة جريمة اسقاط الأجنة إذ كان يفرض الرجل على المرأة إسقاط الجنين وهذا ما أشار إليه الونشريسي في قوله: "كما يفرض سفلة التجار في سقي الخدم عند إمساك الطمث الأدوية التي ترخيه فيسل المني معه فتنقطع الولادة"[10].

1- المصدر نفسه، ج. 6، ص. 410.

2- البرزلي، المصدر السابق، ج. 3، ص. 276.

3- الونشريسي،المصدر السابق،ج. 6، ص. 48؛ البرزلي، المصدر السابق، ج. 3، ص.ص، 276-277.

4- البرزلي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 276-277.

5- ابن عذاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 211.

6- البرزلي، المصدر السابق، ج. 1، ص. 380.

7- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 70.

8- ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 354.

9- الونشريسي، المصدر السابق، ص. 523.

10- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 4، ص. 236.

التضرر النفسي للطفل لأن علماء التحليل النفسي أثبتوا أن الأسرة بالنسبة للطفل هي مصدر الطمأنينة بالبيئة له والمرجع الأساسي لقدرته على الاحتمال[1] فإذا وجد هذا الطفل البيئة غير مهيأة فإنه يسبب له عقد في المستقبل وقد يحذو طريق المتسبب في الظاهرة .

انتشار الأمراض عن طريق الزنا فاليهود عندما انتقلوا إلى المغرب انتشر عن طريقهم داء الأفرنج وهو المعروف بمرض الزهري وقد انتشر عن طريق الاتّصال الجنسي بين اليهوديات والتلمسانيين وغيرهم من سكان مدن المغرب الأوسط[2].

أمام انتشار اللاّ أمن في العديد من المناطق اضطر سكانها للهجرة فعلى سبيل المثال نجد مدينة مازونة التي تتعرض دائما للتخريب فهجرها سكانها فأصبحت قليلة السكان[3] كذلك تم تهجير أهالي تلمسان بسبب تعسف الأعراب[4]، فتمت الهجرة إلى المناطق الجبلية والمرتفعات وهذا كله سيؤثر في الجانب الاقتصادي من خلال هجرة الفلاحين الذين يعتبرون المحرك الأساسي.

4- صور احتواء الآفات الاجتماعية في مجتمع المغرب الأوسط:

تعدّ الآفات الاجتماعية ظاهرة معقدة و لمعالجتها ومواجهتها كان لابد من تظافر جهود مختلف الأطراف فالسلطة حاولت محاربة الظواهر المختلفة ضمن البرامج المقررة على السلطات تطبيقها وقد برز دورها في مكافحتها عن طريق مجموعة من الطرق منها:

- الوعظ الذي مارسه بعض الأمراء بالاحتكاك المباشر مع الرعية عن طريق اللقاءات اليومية مع جموع العامة عبر التدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في المدن أو الأرياف، وهذا ما حدث مع المهدي بن تومرت أثناء محادثاته إذ كان يقف على معتقدات القوم وعاداتهم وتقاليدهم كما كانت له لقاءات مع العلماء والفقهاء[5] وما قام به أثناء نزوله في بجاية بملالة من كسر المزامير وآلات اللهو وكان يريق الخمر حيثما وجده ويفعل ذلك في أي بلد حلّ فيه[6] وقد تم تحذير مرتكبي المنكرات بعقاب الموت[7].

الموت[7].

- إنشاء الحسبة لمراقبة الأسواق فدور المحتسب هو حماية المجتمع من الظواهر السلبية ومكافحة الآفات كما كان يكلف بمراقبة الأسواق إذ يذكر أن من الباعة من كان يلجأ إلى الغش والتّحايل ومن ثمة

1- نصار كريستين واقع الحرب وانعكاستها على الطفل، جورس بورس، لبنان، ط. 1، 1991، ص. 25.

2- حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 1، ص. 84.

3- مارمول كربخال،المصدر السابق،ج. 2، ص. 359؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 28.

4- المصدر نفسه، ج. 2، ص. 350.

5- ابن أبي زرع المصدر السابق، ج. 3، ص. 173؛ عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط. 2، 1995، ص.ص. 79-80.

6- ابن أبي زرع المصدر السابق، ج. 3، ص. 173.

7- المصدر نفسه، ج. 3، 273.

يتعرّض للعقوبة من جانب المحتسب أو صاحب السوق كما كان المحتسب يقوم بمراقبة المكاييل والموزين التي يستعملها التاجر وذلك لوضع حد للغش والتدليس أما الفقهاء فقد منعوا التجار زمن المسغبة احتكار السلع و قاموا بحثهم على إخراج الطعام المدخر وبيعه في الأسواق لحاجة الناس إليه بسعر معقول كما أنهم شددوا العقاب على التجار إذا ما تبين امتناعهم عن اخراج سلعهم لبيعها كما شددوا النكير على ملتقى السلع في الفنادق وألزموهم بإنزالها الأسواق ليدركها الضعيف والقوي[1].

كذلك الموقف الذي قام به أبو زكرياء يحي بن علي الزواوي (ت. 611هـ./ 1214م) إبان المجاعة الواقعة ببجاية سنة 661/ 1214م حيث قصد أعيان بجاية لجمع المال منهم حتى يتمكّن من كراء فندق يجمع فيه المساكين والمحتاجين لمساعدتهم ويبرز دور العامل في الفندق من خلال طلبه من الولي احتساب كراء الفندق عليه لكنه رفض و فضل الولي أن يدفع له ما جمع من المال [2]كما كان يمشي في الطرقات ببجاية كلما وجد مسكين دفع له ما يقيه وقال له اذهب إلى الفندق الفلاني فلما اجتمعوا به اشترى لهم اللّباس والطعام[3].

– اتّخاذ خطة الشرطة وهو بمثابة الجهاز التنفيذي ضد المجرمين خاصة أمام كثرة الهجمات المتكررة للصوص على القوافل التجارية والمسافرين فمثلا سنة 670هـ./ 1270م إثر حملة السلطان المريني أبي يعقوب على تلمسان على تلمسان خرجت فصائل توجيه التي كانت مناوئة للسلطة المركزية وراحت تعمل على النهب والتخريب بجهات تلمسان[4] ويظهر تطبيق الأحكام الصادرة عن القاضي وصاحب المظالم في في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني حيث ذكر في وصيته الاعتناء بخطة الشرطة عن طريق مساءلة صاحب الشرطة في كل ليلة ما يقع داخل البلد من صغيرة وكبيرة حتى يتجنب الظلم[5].

حتى الخلفاء لم يبخلوا من تقديم التكافل والصدقات لتصدي ظاهرة الفقر خصوصا عند قيام أي خليفة بإصلاحات جديدة داخل المجتمع فقد ذكر لنا ابن قنفذ أن السلطان المتوكل على الله الحفصي كان يدخل المال الكثير للضعفاء والواردين عليه من الشرفاء[6].

– الأطراف الأخرى:

شكل عنصر المتصوّفة إحدى اللبنات البارزة في محاربة الآفات نتيجة الاندماج الذي عرفه في المجتمع حيث ساهم في تمرير خطاباته المختلفة لتهدئة الهزات التي تضرب المجتمع نظر لما لهم من

1– العقباني، المصدر السابق، ص.ص. 127–131.

2– ابن الزيات التشوف إلى رجال التصوف وأخبار بني العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب الرباط، المغرب، ط. 2، 1997، ص. 429، الغبريني، المصدر السابق، ص. 128.

3– الغبريني، المصدر السابق، ص. 128.

4– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج. 3، ص. 337.

5– ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 7، ص. 292.

6– ابن قنفذ، المصدر السابق، ص. 195.

رمزية وثقل معنوي عرف تمثلا من شرائح المجتمع فلا عجب أن تكون قضية الأخلاق مسألة محورية ومن كبرى أولوياتها التربوية والنفسية إذ نجد أن الطاهر بونابي أرجع مجيء التصوف كرد فعل على الآفات الاجتماعية معللا ذلك بأنه ظهر في المدن التي عرفت فيه انحراف أخلاقي[1].

للتهذيب والوعظ مارس المتصوفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة و اسداء النصيحة تارة أخرى بل و تجسد ذلك حتى بواسطة أشعارهم[2] ومن أمثلة الوعاظ نجد ابن الحجام المعروف بحسن وعظه إذ تاب على يده من أراد به خيرا[3]، أبي مدين شعيب كذلك أبو زكريا الزواوي[4] وأبي محمد بن عبد السلام وموقفه مع طبقة العامة حيث نهى رجل من أهل الدعارة شكاه الناس عن فعله حتى أخذ بأثوابه وضرب به الحائط و قد نتج توبة الرجل بل ولحق بالأولياء [5]إضافة ما نقله الغريني عن الشيخ الحرالي أنّ امرأة كان لها ولد مدمن[6].

استخدموا أيضا الكرامة والتي اعتمدوها للاطّلاع على ما يبطنه المنحرفين من أجل تربيتهم واصلاحهم ،فعن ذلك مكاشفة أبي مدين شعيب ذلك الرجل الذي جاء بنية الاعتراض عليه فلما سأله الشيخ عن سبب قدومه قال جئت لأقتبس من نورك فقال له ما الذي في كمك قال مصحف فقال له أبو مدين افتحه واقرأ ما يخرج لك أول السطر ففتحه فإذا به "الذين كذبوا شيعا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين"، فقال أبو مدين أما يكفيك هذا فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله وكذلك في قضية مكاشفته لأحد تلاميذته حين أراد تطليق زوجته [7]كما استعملت الكرامة أيضا لهداية المنحرفين من اللصوص ومتعاطي الخمر ومن ذلك أن لصا دخل بستان أبي بكر بن مرزوق فلما انتهى من عمله قال له تائب قال اللص نعم يا سيدي فقال له انطلق فذهب بعد أن قبّل يد الشيخ و صار من الصالحين[8].

برّر كذلك الصلحاء للتخفيف من درجة الفقر وذلك بتشجيع الأغنياء على الصدقة فقد تصدق عبد الله بن بكر بن مرزوق بالمحصول الذي كان يجنيه من بستانه على الفقراء والمساكين كما كان يتصدق على المحتاجين طوال السنة لأحد فقراء بجاية ممّن لا يملكون قوت يومهم بصرة من الدراهم ولم ينقص منها المال بالرّغم من شراء الفقير عدة أشياء[9].

1- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص. 101.

2- محمد حلمي ولاة وأولياء السلطة المتصوفة في الإسلام في الصر الوسيط، ط. 1، بيروت، الشركة العربية للأبحاث 2002، ص. 164.

3- ابن الزيات التشوف، المصدر السابق، ص. 439.

4- المصدر نفسه، ص. 428.

5- ابن الزيات، المصدر السابق، ص.ص. 111-112.

6- الغبريني، المصدر السابق، ص. 150.

7- ابن مريم،المصدر السابق، ص. 111-112.

8- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص. 183.

9- الغبريني، المصدر السابق، ص. 161.

قضى الفقهاء وقتا طويلا في أحوال وسلوك المرأة داخل البيت وخارجه فأجمعوا على ضرورة ضبط أفعالها والمبالغة في ضرب نطاق التضييق عليها وطالبوا بالتصدي لأي تعامل مع الرجال الأجانب في خلوات الأزقة[1] ودعوا كذلك إلى إجبارهن على عدم حضور مجالس السماع والوعظ تفاديا للاختلاط وتأديب مرتكبي الزنا وكشفه وتطبيق الحد عليه كما تنص عليه حدوده[2] كما شددوا الاحتراز من المرور من الأماكن المأهولة وتحاشي كلّ ما يجعلهنّ مصدر إثارة الرجل وقد وصل الأمر إلى الإفتاء بمنع الإمامة على الزوج الذي كانت زوجته تخرج متبرجة و بادية الوجه[3].

أمّا ما يخص محاربة السحر والشعوذة فإن الفقهاء لم يتساهلوا مع هذه الطائفة وقد سئل أحدهم عمن يكتب حروفا مجهولة المعنى للأمراض فينجح ويشفى بها فأجاب بأنّها يجب أن تكون ظاهرة واضحة[4]، كما حاربوا وحرموا كتب الشعوذة والخرافات التي فيها الخواتم والكلام الذي لا يفعم[5]إذ ذهب إلى إلى حد تحريم الشهادة والإمامة على كل من يرويها[6].

الخاتمـــة:

من خلال هذه الدراسة المتواضعة خرجنا بمجموعة استنتاجات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- ظهور الآفات الاجتماعية كانت محصلة لترابط مجموعة العوامل الطبيعية والاجتماعية والأخلاقية والدينية، حيث تمثّلت الأولى في الكوارث كالفيضان والجفاف التي تسببت في انتشار الفقر، وبالتّالي نتج عنها آفات كالسرقة والنهب والتسول والزّنا، أمّا العوامل الاجتماعية فتمثلت في الفروق التي ميزت طبقات المجتمع ممّا أدى إلى ظهور تصرفات من طرف البعض والتي كان لها يد التّطاول على الرعية، كالضرائب التي كانت تفرض عليهم والظلم الذي مورسه أصحاب النفوذ حيث سبب ذلك في غلاء الأسعار، وبالتالي ساهم في انتشار السرقة والنهب إضافة إلى ظهور فئة من المتسولين، أما الأخلاقية فتمثلت في تراجع القيم وانتشار الفساد سواء في المناصب أو في الجانب الأخلاقي كانتشار الزنا والاغتصاب، كما ساهمت أيضا الحروب والحصارات والفتن الداخلية في ظهورها.

- تعدّدت مظاهر هذه الآفات حيث ظهرت تجلياتها في عدة أشكال وصور كالسرقة والخطف، الزّنا، الغش، الرّشوة، السّحر والشّعوذة.

1- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 5، ص. 197.

2- العقباني، المصدر السابق، ص. 316.

3- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 11، ص. 193.

4- البرزلي، المصدر السابق، ج. 1، ص. ص.381-382؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 70، ج. 11، ص. 87.

5- البرزلي، المصدر السابق، ج. 1، ص. 382.

6- الونشريسي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 70.

– أفرزت الآفات الاجتماعية في مجتمع المغرب الأوسط عدّة نتائج أهمها:

– الانحلال الخلقي وفساد النسل نتيجة الزنا والاغتصاب.

– ارتكاب جريمة القتل العمد للأجنة

– التضرر النفسي للمغتصبة والطفل كون أن الأسرة والبيئة المحيطة يعدّان عنصران أساسيان في الاستقرار النفسي.

– ظهور الهجرة وما تسببته من أثر في الجانب الفلاحي.

– تظافرت جهود كلّ الأطراف لمحاربة الآفات الاجتماعية كل حسب استطاعته، فالدولة جاءت جهودها في محاربتها من خلال مبدأ التضامن خاصة ما تعلق منها بتوفير الغذاء للفقراء والضعفاء دون ثمن، وكذا فرض قوانين الردع عن طريق مؤسساتها كالحسبة، القضاء والشرطة، في حين تجسد الدور الإصلاحي للمتصوفة في تجاوز هذه الآفات عن طريق اغتنام هؤلاء فرصة قربهم من الحياة العامة للمجتمع وقوة اعتقاد الناس فيهم عن طريق الكرامة والدّعاء، فضلا عن التضامن مع الفئات الفقيرة لتكون مقدساتهم كالقبور والزوايا مقرا رئيسيا تلجأ إليه هذه الفئات طمعا في نيل الصدقات من الزائرين ومن المقيمين عليها.

في الأخير يمكن القول أنّ الآفات الاجتماعية التي ألمت بمجتمع المغرب الأوسط لم تكن وليدة الصدفة إنما كانت نتاجا طبيعيا لما مرّ به المنطقة من تطورات على كافة الأصعدة.

البيبليوغرافيا:

1- المصادر:

- القرآن الكريم.

- البرزلي أبو القاسم بن أحمد (ت. 841هـ./ 1432م)، جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2002، ط. 1، ج. 5.

- ابن بطوطة محمد بن عبد الله محمد اللواتي الطنجي (779هـ./ 1377م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي مج. 1، أكادمية المملكة المغربية، المغرب 1997.

- البكريأبي عبد الله (ت. 487هـ./ 1094م)، المسالك والممالك تح أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دارالغرب الإسلامي، 1992.

- التادلي يوسف بن يحي المعروف بابن الزيات (ت. 617هـ./ 1220)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار بني العباس السبتي ،تح أحمد التوفيق،منشورات كلية الآداب الرباط، المغرب ط. 2، 1997.

- ابن الحاج النميري، فيض العباب إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ،تح محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 1990.

- حسن الوزان بن محمد الفاسي (ت. 957هـ./ 1559م)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ج. 2، 1983.

- ابن خلدون عبد الرحمن (ت. 808هـ./ 1406م)، المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2001.

- ـــــــــــــ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر بيروت لبنان، ج. 7.

- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت. 670هـ./ 1272م)، طبقات المشايخ بالمغرب،تح إبراهيم طلاي،مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، ج. 2.

- ابن رشد الجد الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت. 520هـ./ 1126م)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتّعليل في المسائل المستخرجة، ج. 11، تح محمد حجي، ط. 1، دار الغرب الإسلامي 1988، بيروت.

- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (حي قبل 726هـ./ 1325)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

- العبدري أبو عبد الله بن أحمد (ت. بعد 700هـ./ 1300م)، رحلة العبدري، تح. إبراهيم كردي تقديم شاكر الفحّام، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 2، 2005.

– ابن عذاري العباس بن أحمد بن محمد المراكشي (كان حيا 712هـ./ 1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. ج. س. كولان وإليفي بروفينسال، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط. 3، 1983.
– الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت. 644هـ)،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط. 2، 1979.
– ابن قنفذ أبي العباس أحمد (ت. 810هـ./ 1407–1408م)، الفارسية في مباديء الدولة الحفصية ،تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية، 1968.
– ـــــــــــــ، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي ،أدولف فور ،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.
– مارمول كربخال، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، ج. 2، 1984.
– ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه ومراجعته محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر.
– الونشريسي أحمد بن يحي (ت. 914هـ./ 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس وإشراف محمد حجي ،دار الغرب الإسلامي بيروت، 1981، ج. 8.

2– المراجع:

– النّجار عبد المجيد، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط. 2، 1995.
– بوداود عبيد، التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرن (7–9هـ./ 13–15م)، دراسة في التاريخ السوسيوثقافي، وهران، دار العرب.
– حلمي محمد، ولاة وأولياء السلطة المتصوفة في الإسلام في العصر الوسيط، ط. 1، بيروت، الشركة العربية للأبحاث، 2002.
– كريستين نصار، واقع الحرب وانعكاساتها على الطفل، جورس بورس، لبنان، ط. 1، 1991.